

الهدف الأدبي

للدكتور زكي مبارك

[في الاحتفال الذي أقيم بدار الجمعية الجغرافية لانتخاب الموسم الثقافي لجمعية الجامعة المصرية ، ألقى ثلاث خطب في تحديد أهداف الموسم : خطبة الدكتور منصور بك نهى في الهدف الروحي ، وخطبة الدكتور حسن إبراهيم في الهدف الاجتماعي ، وخطبة الدكتور زكي مبارك في الهدف الأدبي . وحال مرض الدكتور عبد الوهاب عزام دون خطبته في الهدف العلمي]

هذه قائمة الموسم الثقافي لجمعية الجامعة المصرية ، والجامعة أول مظهر من إرادة الأمة في العصر الحديث ، فقد أنشأتها الأمة قبل أن تفكر فيها الحكومة ، والأمة لا تسبق الحكومات إلا حين تكتمل فيها الحيوية الروحية والعقلية . وقد كان من أثر ذلك أن صارت الجامعة منذ إنشائها إلى اليوم مثابة لحرية الفكر والرأي . ولعلكم تذكرون أنها لم تقبل الانضمام إلى الحكومة إلا بعد إعلان الاستقلال ، وبعد أن صارت الفكرة القومية هي التي توجه مذاهب التعليم والتثقيف إلى خير البلاد

كان الموسم الثقافي لجمعية الجامعة حلماً يمتد خاطري من حين إلى حين ، وكان الرأي عندي أن ينهض به الخريجون المستقلون ، وأعني بهم من لا يتصلون بالجامعة عن طريق التدريس ، لأن الجامعة أعدت هؤلاء لتثقيف الطلبة ، وأعفتهم من تثقيف الجماهير ، ولأن لبث الثقافة الجامعية خارج أروقة الكليات أساليب يبيدها الجامعيون المستقلون بأقوى مما يبيدها الجامعيون الرسميون ... وهل نسي أن للتدريس قيوداً تحصر المدرس في آفاق لا تتسع في كل وقت لدرس ما يتصل بالمجتمع من معضلات لا يلتفت إليها الطلبة إلا بعد أن تكتوى أيديهم بغيران المجتمع ؟

إن الجامعي المدرس يكون في أحسن أحواله يوم يصبح على رأى الفراء حين قال : ساموت وفي نفسي شيء من حتى ! ومعنى ذلك أن أفضل حياة للجامعي المدرس هي الحياة التي

تفرض عليه أن يكون إماماً في تشريح الجزئيات ، عساه يصل بتلاميذه إلى تصور الكليات ، في تواضع محبوب ينسبه وجوده الذاتي ، ويحبب إليه الرضا بحظ الجندی المجهول في تثقيف العقول الجامعي المدرس لا يعاب عليه أن يجهل المجتمع الذي يعيش فيه ، ما دام يعرف الدقائق من العلم الذي انقطع إليه . وقد رأيت من أساتذة السوربون من يجهلون زمانهم بعض الجهل ، أو كل الجهل ، لأنهم تخصصوا في دراسات سبقت زمانهم بأجيال^(١).

أما الجامعي المفكر فله أسلوب غير هذا الأسلوب . الجامعي المفكر يتخذ من الدراسات الجامعية موازين يزن بها ما في المجتمع من أحلام وأوهام ، وحقائق وأباطيل . الجامعي المفكر يرى جميع العلوم وسائل لا غايات ، فالغاية الصحيحة عند الجامعي المفكر هي أن ينقل المجتمع من حال إلى أحوال في مذاهب الفكر والمعيش . الغاية عنده هي الإبداع لا التحصيل ، الغاية عنده أن تكون آراؤه موضوعات الدرس في الجامعات ، لا أن يكون شارحاً لآراء الناس . ومن أجل هذا اختلف الحصول الذي يصدر عن الجامعي المفكر والحصول الذي يصدر عن الجامعي المدرس ، فالأول يُبدع والثاني يشرح ، وهما في منزلة سواء في نظر العدل ، لأن الغرض الأصيل هو خدمة الحق بأي أسلوب وفي أي موضوع . ومن آفات الحياة في مصر أن يتوهم أهلها أن الفكرة الجامعية لا تتمثل إلا في الجامعي المدرس ، وكان ذلك لأن مصر طال عهدها باحترام الوظيفة الرسمية ، فلم تعد تدرك أي قيمة للوظيفة الروحية

وقد انساق الجامعيون في هذا المساق ، فلم نسمع أن فيهم من يحمل راية الجامعة ، وهو غير مدرس بالجامعة ، فكانت النتيجة أن يُجسّس صوت الجامعة في حدائق الأورمان ، وأن تشعر الحواضر والأقاليم بأن الجامعة صورة من صنع الخيال والحق أن الجامعة أرادت لأبنائها ما لم يريدوا لأنفسهم ، هي أرادت أن يكونوا مفكرين ، وهم أرادوا أن يكونوا موظفين ، وبين الإرادتين فرق بعيد

ومن أجل هذه الأسباب ضاعت محاولات في خلق الموسم

(١) من أمرت ما رأيت أن يستمرق كازاتونا كان خالي الدهن من آثاره تين ، في النقد الأدبي

إني أعتني أن يقترب اليوم الذي تفرض فيه الدولة على خريجي الجامعة ضرائب فكرية ، اليوم الذي يُقال فيه إن خريجي الجامعة يملكون ثروات لا يملكها أصحاب الملايين ، وإن من الواجب أن تفرض عليهم الضرائب ، لتستطيع الدولة أن تقيم أود النكوبين بالزهد في كراهم المعاني

يجب أن يكون من أغراض الجامعيين أن يُطمئنوا الدولة على أن أملها فيهم لم يضع ولن يضيع
إن هذا اليوم قريبٌ قريبٌ ، وستنخلقه خلقاً إن تأبى وامتنع ، وسيعلم الذين آمنوا بمجهادنا فتحونا ألقاب الجامعة أن إيمانهم كان الإيمان ، وأنهم سلّموا راية الجامعة إلى جنود هم الرجال

لقد استضعفنا حيناً أو أحيان ، والله قد يمسّ على الذين استضعفوا فيجعلهم أئمةً ويجعلهم الوارثين

ولكن الله على كرمه لا يجود إلا بميزان ، ليعلم عباده معنى النظام ومعنى العدل ؛ فإن جازي وهما أن الألقاب الجامعية تُعنى عن الجهاد الموصول في سبيل المجد ، فقد ضللتنا سواء السبيل هل تفهمون معنى كلمة « ليسانس » وهي أول درجة من الدرجات الجامعية ؟

الليسانس كلمة فرنسية معناها الحرية ، وحرية الجسم لا تتم إلا بسلامة جميع الأعضاء ، وكذلك حرية العقل وحرية الروح ، فلا حرية لعقل تموزه المواهب ، ولا حرية لروح يموزه الصفاء . وأشرح كلمة الليسانس من ثانية فأقول :

الفرض من هذه الكلمة هو إعطاء الطالب راية الحرية ، الحرية من جميع ما قرأ وما سمع ، ليكون من المبدعين

فإن تحلة الليسانس من هذا الفرض ؟
إن أعفهم الدولة من تحقيق هذا الفرض فلن يعفيهم الوطن ، ولن يرحمهم الله الذي علم آدم في الفردوس ليكون رسوله إلى ممالك الأرض

إن للجامعة المصرية رسالة تدور حولها من وقت إلى وقت ، وإن كان لها في أنفسنا صورة لا يمثّلها أبرع فنان ، ولو استوحى نجوم السماء

وتلك الصورة هي سبب شقائي ، وأنا الجامعي المخضرم الذي

التقاني لخريجي الجامعة المصرية ، وهو موسم دعوت إليه منذ أعوام ولم أجد من يستجيب ، إلى أن لاحت فرصة لا يجود بها الزمان ، إلا في أندر الأحيان
فما تلك الفرصة الذهبية ؟

رأيت جماعة من خريجي الجامعة يتشكون على صفحات الجرائد من قلة الرواتب ، فأسرعت إلى نهيمهم عن هذا التشكي ، وأفهمتهم أن للجامعة رسالة غير رسالة القوت ، وأن مبدأنا أن نجوع لتشبع الأمة ، وأن نتعب لتستريح ... وهل تعرفنا الجامعة إن صرنا طلاب أموال ، لا عشاق آمال ؟

وسمع خريجوا الجامعة صوتاً لم يسموه من قبل ، فدعوني لأشرح لهم رأيي ، فقلت : إني لا أتق إلا بمن يحلفون على المصحف . فقالوا : إن اليمين لا تُطلب إلا من المرتابين ، وسترى كيف نصدق بدون يمين

كان ذلك في يوم جمعة من شهر رمضان ، فهل تكون الأقدار أرادت أن توقظ المعاني الروحية في أنفس الجامعيين ، بلحظة كريمة من لحظات شهر الصيام عن الآثام ؟

أؤكد لكم أني لم أكن أنتظر أن يتقبل أولئك الشباب هذا الصوت بمثل ذلك القبول ، فقد ابتلتهم الأيام بمصر منحرف عن المعاني . وهل فينا من ينكر أن الموظف الذي يزيد مرتبه عن زميله خمسة قروش يعتقد أنه أرقى من ذلك الزميل ؟

البحث عن الدرجات المالية ليس من عيوب الفكرة الجامعية ، ولكنه من عيوب الحياة الديوانية . وسيدكر أبناء الجامعة واجبه ، سيدكرون أن إنشاء الجامعة كان في الأصل غرضة على سياسة التعليم للتوظيف ، وصاحب الوظيفة وصيف ، كما يقول أهل تونس الخضر

ما الذي يوجب أن يبحث الشاب المتخرج في كلية التجارة أو كلية الزراعة عن وظيفة كتابية ؟

إن هذه الظاهرة تشهد بأن بعض الكليات تعجز عن رياضة أبنائها على الإيمان بما تخصصوا فيه ، إيماناً يجعلهم أقطاباً فيما تخصصوا فيه ، ويفرض عليهم أن يعينوا الدولة على تحقيق ما تريد من كراهم الأغراض

فلا تَعْرِضُوا مواهبكم لليُتَمِّمِ الدِّمِيمِ ... وفي الناس أيتامٌ أبَاؤُهُمْ
أحياء !

يجب أن يكون للجامعة في كل ميدان جنود . يجب أن
يكون إليها الرأي في جميع المعضلات الأدبية والفلسفية والتشريعية
والهندسية والطبية والعلمية
ويجب أن يكون الجوع أشرف قوت يقتات به الجامعيون
الأصلاء .

أترىني أسرف في الأماني ؟

إن قلتم هذا القول فإني أجب بأن ليس في الخير إسراف
لقد كانت بلادنا أول مشرق للعلوم والآداب والفنون ،
وكانت وثباتها العلمية والأدبية والفنية موكولة إلى رجال لا يقيمون
وزناً للأقوات ، فكيف نياأس وتأخرنا المادى هو الشاهد
على صدق بُنوتنا لأولئك الآباء ؟
أما بعد فاذا أريد أن أقول ؟

لم أقل شيئاً ، لأني قلت أشياء ، وبعضُ الإيجاز أبلغ من
الإطناب

الهدف الأدبي لهذا الموسم هو أن نخلق للقااهرة شواغل
جدية ، بعد أن طال عهدها باستصغار قيمة الوقت ، وبعد أن
كان غذاؤها لا يزيد عن اجتراح القيل والقال
الهدف الأدبي لهذا الموسم هو أن ننتطق ببعض السكليات
التي لا تنطق !

الهدف الأدبي لهذا الموسم أن ننقل القاهريين من الاختصاص
في التوافه ، إلى الاختصاص في الحقائق

باسم الله نفتتح هذا الموسم ، ولن يتخلى الله عن بناء كان
اسمه أول ما سطر على حجر الأساس « وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله المؤمنون »
زكى مبارك

حكم في القضية رقم ٦٥٥ عسكرية النبا سنة ١٩٤٢ بحسب زكى
عبد السلام خليل قاش بالجلس شهرين مع النقل بجلية ١٧-٦-١٩٤٢
ليعبه قاشاً بسر أزيد من التسيرة .

حكم في القضية العسكرية رقم ٥٣٦ سنة ١٩٤٢ بجلية ٣-٦-١٩٤٢
بحسب كوكس إبراهيم الذكر صاحب مخزن بني مزار ثلاثة شهور مع النقل
وغلق المحل خمسة أيام وذلك ليعبه خبزاً بأزيد من التسيرة .

ظفر بألقاب الجامعة القديمة والجامعة الجديدة ، فإذا صنعتُ
في دنياي ؟

إن قبائدي ومؤلفاتي ومقالاتي لا توحى إلى نفسى شيئاً
من الازدهاء ، لأنى أفهم جيداً أن للنبوغ والمبقرة غاية إنسانية
لا غاية عملية ، فأنا لا أقنع بأن يكون الجامعى هو المصرى الأول ،
وإنما أسمو إلى أن يكون الإنسان الأول ، فاستعدوا للنضال
في ميدان تكونون فيه أوائل الأبطال

لا قيمة للأرقام في حياة الوجود ، ولن يكون من أسباب
ازدهاء الجامعيين أنهم بلغوا بضع ألوف ، فالشمس واحدة والقمر
واحد ، وهما عندنا أنفع من النجوم التي تفوق الإحصاء

وأنا من أجل هذا المعنى لا أقيم وزناً للتضامن الجامعي ،
لأن التضامن سناد الضعفاء . أعاذنى الله وأعاذك من وباء
الضعف . وهل تتجمع في الأرض أمةٌ كما تتجمع أمة النمل ؟
الجامعى الحق هو الذى يسير في كل أرض وفي عقله فكرة
الجامعة ، كما يسير المسلم في كل أرض وفي روحه هدى المصحف
كونوا آحاداً ، ولا تكونوا جماعات ، فالوحدانية هي العقيدة
التي ارتفع بها الشرق ، وبها ارتفع الغرب ، إن كنتم تذكرون
طلائع النهضة في التاريخ

إن الأدب الإسلامى أوصاكم بالتخلق بأخلاق الله ، وأعظم
صفات الله هي صفة الوحدانية . ولن يكون للتضامن قيمة
إلا إن كان أرقاماً صحاحاً تضاف إلى أرقام صحاح ، وأعنيكم
أن تكونوا أصفاراً تريد قيمة الرقم الصحيح

الصفر وحده عديم ، ثم تكون له قيمة إن تضامن مع الرقم
الوجود ، فاذا تريدون بأنفسكم ، يا أبناء الجامعة في هذا الجيل ؟
أنا أحب لكم ما أحب لنفسي ، وأنا أكره أن يكون لأى
مخلوق على سلطان ، فتحرروا من بوارق الدنيا كما تحررت ،
ليُسبِغَ الله عليكم نعمة الأدب الرفيع

لا تنشروا بعد اليوم على صفحات الجرائد شكايكم من قلة
الرواتب ، فإن سطرأ تكتبونه صادقين هو الرزق النبيل . وذكره
المرء محسوبٌ عليه ، كما قال الأسلاف

العقيدة الأدبية والعلمية هي الأبوّة الكريمة للرجل الحصيف ،